

“المهماز” و”المطرقة”.. وجبة سياسية ساخرة من الصحافة الفلسطينية

كتبه مها شهوان | 11 يوليو، 2022



من ينبش التاريخ الفلسطيني يجد أن هذه البلاد نافست حتى أوجدت لأبنائها مكانة في عدة مجالات، ومنها الصحافة الساخرة التي انتعشت في النصف الأول من القرن العشرين وتصدّرت الفنون الصحفية، حيث قدّمت محتوى سياسيًا واجتماعيًا في قالب فكاهي ساخر، على الرغم من أنه ليس سهلاً أن يعيش الكاتب الساخر في مجتمع ملغم بالوقائع، فكل كلمة يتفوّه بها قد يدفع ثمنها غالياً يصل حد القتل أو السجن، لما يمتلكه من أدوات لنشر رسالته الساخرة إلى أكبر قاعدة جماهيرية كونه يحاكي المواضيع السياسية والحياتية بطريقة ساخرة، من أجل النقد لإحداث تغيير قد يودي بمناصب الحاكم والمسؤولين.

لكن أصر الكتّاب الفلسطينيون على استخدام الصحافة الساخرة منذ عقود طويلة لعدة أسباب، منها أنها أسلوب لقول الحقيقة لأصحاب السلطة والقوة دون تجريح وبعيداً عن القدر والذم، خشية أن تكون النهاية عقاباً.

يستعرض “نون بوست” أبرز الصحف الفلسطينية الساخرة قبل النكبة، وكيف ساهمت في

السخرية من الواقع السياسي والحياتي بشكل عام لتحدث تغييرًا على أرض الواقع، بالإضافة إلى تطور الكتابة الساخرة في الوقت الحالي والأدوات التي يمتلكها الكاتب ليوصل فكرته ويبعد الشبهة عنه كي لا يقع في فخ المساءلة أو الاعتقال، بفعل الظروف السياسية الدسمة التي تعيشها البلاد حيث الاحتلال والانقسام السياسي.

أبرز الصحف الساخرة قبل النكبة

– **المهماز:** مجلة أسبوعية ثقافية وسياسية ساخرة بطابعها صدرت في حيفا عام 1946، حرّرها إميل حبيبي وحنّا نقّارة ويوسف مجدلاي، وكتب فيها الشاعر أبو سلمى، واتّخذت موقفًا داعمًا لقاطعة المصالح اليهودية.



كانت أهدافها المركزية التأكيد على الخطاب الوطني الفلسطيني المستند إلى المبادئ الديمقراطية، ومناهضة الهجرة الصهيونية وبيع الأراضي، والدعوة إلى إقامة حكومة فلسطينية مستقلة، كما اعتمدت أسلوبًا ساخرًا في طرح قضاياها معتمدة على الرسوم الكاريكاتورية.

صدر العدد الأول من المجلة يوم 10 فبراير/ شباط 1946، إلّا أنها توقّفت بعد أقل من سنة من صدورها (غير واضح متى تحديدًا، ولكن العدد الأخير المتوفر في المكتبة هو العدد 27 ويعود إلى يوم 18 أغسطس/ آب 1946)، والمؤكد أن المجلة لم تصدر أكثر من سنة بحسب الموسوعة الفلسطينية.

– **الطبل:** صدرت في دمشق عام 1920 ثم انتقلت إلى القدس ثم حيفا، وشعارها “قل لمن حاد عن سبيل هُدهاه احذر الطبل فهو بالمرصاد”.

العدد ١٦ - ١٥٤٤ حياً يوم الاثنين في ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ و٢٤٣٠ سنة ١٩٢٠ (تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع) السنة الثالثة

أشترأكلها
في فلسطين ١٢٥ غرت ١٠٠٠٠٠٠
في الجهاد ١٥٠
والشترك لليار في دفع الاشتراك
لا تعتبر الوضولات الا اذا وقعها صاحب الجريدة
الاعلانات: يتفق عليها مع الادارة
الادارة: في دار احمد الخطاط - وادي الصليب
السوان البرق: الطبل حيفا
رقم التدي «٢٧٠٠»

الطبل

Al-TABEL

الطبل
جريدة سياسية وادبية فكلانية
لصاحب امتيازها ورئيس تحريرها
يؤول رها نخبة من الشبابة العربية
لا تمارس الرسائل نشرت او لم تشر
صندوق البريد رقم ١٤٦

النق: الطبل منشوراً لغوي ذي شلال بضل نتيج السداد - قل لمن حاد عن حيل هداه احفرو الطبل فمسو بالمرصاد

فرنسا وفلسطين

وصف فلسطين المنقرسة

جاء في برقية لروتر تاريخ ٢٠ الجاري ان السفير يان رد على ما كتب الجمعية الصهيونية فقال: ان ما شاع بان فرنسا ترغب في الحصول على الانتداب في فلسطين قول هراء، قائم على سوء الفهم وان فرنسا تريد اتمام حمية الامم التي منترض عليها مسألة الانتداب والانتداب الفلسطيني وما يتفرع عنه وهو وطن قومي لليهود

وقد جاء في برقية قبلا ان السفير يان حرم على طلب الانتداب لفرنسا في فلسطين ولكن اكثرا تعارض في وجود فرنسا جازة لها في مصر

وكان في بعض المرات في (فلسطين) استدركت الضرر الذي سيلحق باليهود في فرنسا لا توافق على وعد بلور وتمام كل الجامعة في تنفيذها، وواجبت حجة ان نقل ثقة الرأي العام الفلسطيني بمحكمة ما خشت منذ نعوه انظارها ليس يحرمها وتقدس بعدائها بكرة وصيلا، وحشت ان تذهب مساهمها ادراج الرياح ويضرب بثبرها عرض الحائط فقامت تدافع عن هذا التصريح الذي لا من مثله كثيرا، وتنازل وتضيق في الصهيونيين كما قالت: «فهل هذه الاخبار التي يذيعها الصهيونيون بلا شك لثوية بين الحقيقة وتغدير اعصاب المواطنين يجب ان تقابل بطفراتهم على ان ذلك لا يمنع اللجنة التنفيذية من الاحتجاج عليها، ولتأمل الوفد اليها»

وارادت الرصة ان ترم الالة ان مثل هذا التصريح لا علاقة لبريان ولا

هو هدف السياسة الافرنسية بل هو دعوة صهيونية ترمي بهنسا لإيقاع النزاع بين الخليطين.

وهل من نزاع تخشى الرصفة «الوطنية» وقومه اذا كانت خليفة تقول بانها لا تتعرض للانتداب كان خليفة ما الحق عليه

ولكن هي لا تخشى وقوع نزاع ولا شقاق كما تزمع بل هناك شر مستعير تحثف اعصابها لوقعه وتحسب لتلقاه الف حساب تشتت انباء الالة الى حقيقة الدولة التي تفس الرصفة لها صهيونا وما ترمي اليه بسياستها وما تعتمده لها من التواياح والسياسة التي طامح صرحنا بها على «الانتداب» فقللت نزاع برهات ما اتزل الله بها من سلطان

وكيكت تحاف الرصفة الثقات بين الخليطين وقد رأينا ثواب فرنسا قد صدقوا على قرارات مؤتمر سان ريمو وصبا

وعندما مروا على دكتور فلسطين والصهيونية لم يدارفوا ما وضع بثأريها من القرارات وهل كانت تلك القرارات الا شرية قاتية على فلسطين بجهلها وطمعها قوماً قبيحين وطغاة في صدرهم يا العربية التي جازت في ذبك المؤتمرين

وان كان عهد الرصفة تلك القرارات جيداً فما عهدنا بتصريح ومقتبل مغلوب فرنسا - بصورية السامي بعيد اذ قال لرائيل احدي المرائد اليهودية في فلسطين بان فرنسا لا تناقض الانتداب الاكاذبي على فلسطين وبعها وطغوتها اليهود. وقد نشرت هذا التصريح المرائد الصهيونية بجها وذكروا عنه ما يشعق

في حيله.

فأرأى حشرة الرصفة الوطنية المحترمة بهم الاضاحات، هل لها بعد ذلك الا ان تعلم على اليقين بان تمويلها لا تروج في اسواقها ما لا توطئه من ليم الناس بان فرنسا لا تأو جهداً في مبادرتنا بصفيتها هو قبض على المواد وضرب من المرور

وهل اصحابها بعد ان اعطوا الحجاب مرأ عن دساتره وواياه الصالة ان يرجع ابعد الى المفااتي الررفة ويزدح بالصدق المبين

وهل له «بالعريض» اليندي خبزنا وملحنا يوم كان بين طوائفنا محترماً يتكلم وما ذلك الا لاسا توسنا فيه الخير فومينا اعظم مركز كانت تشرب اليه الاحاق ولكن في له الذكرى وقال صاحب الرسالة «سلم» اتق شر من احسنت اليه

ان فرنسا يا حشرة الرصيف ترمي في سياستها العامة الى توطيد اقدامها في صوريه ولا تتعاده من ميل بعض السكان اليها ولكي تعمر صغر جازتها الكفرا تسليح بانك تسنوا افكار الالة وتروها على حيا وما حركتها التي تقوم بها رجلها على الغاء في فلسطين الاحمرأ نزع عليه لتصل الى ادائها التي حرمت منها فهي من جهة تهدد وليرق وتزهد لارهاب حليتها ومن جهة تابة تحديك وترب لك عن وقتها في معاكسة الحركة الصهيونية

ان من بقرأ مقال هذا يظن بان الغافل على الصهيونيين مع اني لا اتول الا الحق ولا ادمر الا بالصدق، بل من يكر نور الشمس في رابعة النهار من ذا الذي ينكر ان عهد بلور اساء الى كل عربي في فلسطين وصوريه ومصر والعراق اساءة لا تزول ولن تزول

ما دام هذا الوعد مقراً فطعن العربية القول ولا تغش في حرية الصحافة لاسم ان الالة العربية عربنا ونحسب اننا خصوساً لا يتبعنا من مؤلفي المرح جرائدها التي تعددت ترجمتها ولا يجدتها التي بدأ سوس الترفق بغير حق لخصاصها بل ذلك يؤدي بالجمع الى ايقاعهم فيها لا يشبهون انك اذ التواياح في صهيونهم هذه التي يكسبتها الملائم من جهتها الاربع وانما الطريقة لكل وشيخ وسيلة نفذ من هذه الحولة الحقيقة اثباتاً في سخطنا الحقبة الشريرة التي لم يربنا فيها في مواقف عديدة

ويغفل من يقول بان الامرار على تلك المطالب هو الذي اوقضا في الشاكي التي ترها بلقيتا ونسبها اليوم بايديها لانا لم تقع في المحنة الا لانا كنا كنا صهيونا وتضربت اواكنا

هذه هي فكرتنا يا حشرة الرصيف وهذا عهدنا الذي ربي اليه مسلم قتلنا وهذه ضالنا التي يجب ان لا نعيد عنها قد شمره معها ساروتنا الضالكة وطالت دون اماننا المرات فاعن ابناء صوريه وفلسطين والعراق ومصر عرب لا تتعرض ولا تأكل ولا تصيبن بل تحبوسنق الى الابد عرب واما بلادنا العربية الا قلقة من الشرق الذي تشيد في اضعاف غيوم كنيعة وتعلي رشة كبريل اشتلت حراره ولا تلت ان كانت تقابل وزلها وتفرج ثنائها

وهي حاولت يا حشرة الرصيف في تزويج بضاعتك لباله لا تجد فيها الا كساداً من الفشل وهما من با لك بعد هذا بلرصاد الرداءة وقد وقع حذرك قد هفنا من تواياك ما خني منها وما ظهر

فكن بعد الان متاعلي حذر ابراهيم كريم

وتعتبر "الطبل" جريدة "يومية عربية اجتماعية نقدية فكاهية حرة"، وكانت تصدر مرة في الأسبوع، مرة بـ 4 صفحات ومرة بصفحتين وأحياناً بحجم مجلة صغيرة، كما صدرت بأوقات مختلفة تبعاً لأهواء ناشريها.

لقد كانت تدعو دوماً إلى خدمة المصلحة العامة، وكان مبدؤها "الحق يعلو ولا يُعلى عليه"، وخطت

ذلك بالبحث في كل أمر يعود نفعه على الأمة والوطن، ولم تنطق إلا بلسان حال الشعب العربي الفلسطيني، على ما جاء في تعريفها لنفسها.

– **المطرقة:** صدرت في يافا عام 1933 وحزّرها خليل أبو العافية، جاء في افتتاحية عددها الأول: “أهلاً بمطرقة العذاب على العقول الضيقة”، أُلغيت عام 1936 وكانت أسبوعية هزلية.[]



[] وتُعتبر جريدة انتقادية أدبية اجتماعية فكاهية مصوّرة، صدر العدد الأول منها في يافا بتاريخ 25 مارس/ آذار 1933، وقد كانت مليئة بالخواطر والأحاديث والصور الساخرة، وكتب محررها أن الصحيفة “لا تُعنى بالسياسة ولا بالحزبية”، ومع ذلك وقفت الجريدة إلى جانب مفتي القدس آنذاك أمين الحسيني.[]

كانت تُكثر من الانتقاد والسخرية مستخدمة الشعر الفصيح والعامي والمقالات اللاذعة، كتبت مرة

عن مؤتمر للأطباء قرّر تشخيص جسد الأمة العربية، فوجد أنها مصابة بعدة أمراض، منها الزوائد اللسانية، والسيلان الكلامي، والمغص في الجيوب، وتورّم الزعامة، وهستيريا الخطابة، ومنخوليا التفكير، واستماتة الأعصاب، والتشنج ضد الإصلاح والكساح عند العمل والفلاح، والعقم في التضحية والكفاح.

وكتبت في عدد آخر عن موظف تمّ تعيينه لأنه يملك إلى جانب الشهادة الجامعية شهادتين إضافيتين، هما شهادة أن لا إله الا الله، وشهادة حسب ونسب.

كما برعت في الانتقاد الساخر وتغطية اجتماعات الأحزاب والقوى والشخصيات الوطنية على نحو انتقادي هزلي، مستخدمة المأثورات والحكم، وراسمة مظهرًا هزليًا لكل واحد من المشاركين.

- **جرباب الكردي**: صدرت في حيفا عام 1908، حرّرها متري الحلاج ثم تلاه توفيق جانا، لتتحول إدارتها فيما بعد إلى باسيلا الجدع و خليل نصر، ثم انتقلت إلى حمص في سوريا ثم إلى حماة ثم عام 1920 إلى دمشق، وهي جريدة ناقدة وساخرة وفكاهية.



“جرباب الكردي” تعبير يستعمله الناس كناية عن الجرباب الذي يتّسع لكل شيء، وقد جاء التعبير ليقول إن الجرباب الذي كان يحمله الأكراد تجد فيه كل ما تريد، فقد كان الكردي يحمل معه جربابًا مصنوعًا من جلد الماعز خلال سفره، ويضع فيه كل ما يلزمه للسفر، فيكون أشبه ببيت متنقل.

جاء في افتتاحية أحد الأعداد حول الجريدة: “اللهم يا من جعلت الجرباب تفكّهة لأولي الألباب، وجعلته للحمارة خير خلف لخير سلف وأرحتنا من لبيط الحمارة وصياح الأولاد في الحارة، وجعلت القول خير المأكول، والبصل خير ما حصل، وجعلت كلمتنا فوق كل كلام وسهامنا أشد من ضرب الحسام، هبنا اللهم الصبر على الكردي وجربابه كما ألهمتنا الصبر على نهيق الحمارة وغضب الجار والجاره.”

بالصوت العالي.. وجبة سياسية ساخنة

لم تتوقف الصحافة الساخرة في فلسطين يومًا، رغم تخفّي بعض كتابها تحت أسماء مستعارة خشية الملاحقة، واليوم في ظل الانقسام السياسي دوى الكاتب الصحفي وسام عفيفة “بالصوت العالي” ليصل إلى شريحة كبيرة من الغزيين عبر مقال أسبوعي له، يمنح فيه القارئ وجبة سياسية ساخنة حين ينتقد الواقع الغزي.

يقول عفيفة لـ “نون بوست”: “الصحافة الساخرة أحد أشكال التعبير عن هموم المواطن عبر وسائل الإعلام للتحايل على واقع الأنظمة السياسية، حيث يمكن من خلالها كسر القيود المفروضة (..) وهي وسيلة للتعبير بالتصريح أو التلميح لانتقاد الظواهر السلبية”.

ويشبهه الصحافة الساخرة بالهزاء قديمًا حين استخدمه الجاحظ والفرزدق في النقد، مشيرًا إلى أن هذا اللون من الصحافة ينسلُّ إلى عقول المستمعين ويترك أثرًا كبيرًا لديهم ويعبّر عن المثل القائل “شرّ البلية ما يضحك”.

ويعتبر من خلال تجربته أن الصحافة الساخرة رغم صعوبتها إلا أنها الأقرب إلى المواطنين، كونها تخاطب الشرائح الشعبية ولا تقتصر على النخبة، فاللغة العامية المستخدمة لعبت دورًا في الوصول إليهم.

ويرى عفيفة أن الكتابة الساخرة تجعل كاتبها أمام محاكمة من انتقدهم طيلة الوقت، فينصبون له “مشنقة رقيب” بحيث يتم استدعاؤه بسهولة في كل مرة يريد أحدهم الوشاية ضده والكيد له، كما يحدث معه من حين إلى آخر.



وعن لجوئه إلى الكتابة الساخرة في الوقت الذي كان يعيش فيه قطاع غزة الحصار والانقسام السياسي، يقول: “يظن الكاتب في البداية أن حجم تأثير كتاباته بسيط لكن يفاجأ عند احتكاكه بالمواطن أنه قارئ جيد وتعلق تلك العبارات اللاذعة المكتوبة بطريقة ساخرة بعقله، فهي فيها عناصر الجرأة ومخاطبة وجدان المواطن بلغته فيقدم له وجبة شهية دون ملل بشكل دوري”، مضيفاً: “في المقابل هذا اللون يدفع صاحبه الثمن على حساب موقعه في العمل وحياته الأسرية”.

وفي ظل الإعلام الرقمي تأثرت الفنون الصحفية، وهنا يعقب عفيفة: “الصحافة الرقمية من وجهة نظري أثرت بشكل سلبي على كتابة النص الصحفي الساخر بطريقته السليمة، حيث ظهرت نصوص مجتزئة تتناسب مع الناشر الإلكتروني”.

وتابع: “ظهرت أشكال جديدة خפת الكتابة الساخرة ومنها “الستاند اب كوميدي”، فبدلاً من كتابة مقال أصبح يقف الشخص أمام الكاميرا ينتقد بأدواته الجاذبة “الصوت والصورة والمونتاج”، مشيراً إلى أن ذلك أدى إلى فقر في نصوص الكتابة الساخرة.

“هرطقات فلسطينية” يدفع كاتبها

وإلى الضفة المحتلة حيث يقيم الكاتب الساخر حسام أبو النصر، بقي يسخر من واقعه السياسي عبر "هرطقات" ينشرها في الصحف الفلسطينية التي توقفت عن استقبال كتاباته الساخرة، فلجأ إلى نشرها عبر مدونة خاصة به وصفحته على فيسبوك.

يذكر الكاتب أبو النصر لـ "نون بوست" أن فلسطين بعد نكبة 1948 مرّت بكثير من التقلبات السياسية وابتعد الكتاب عن الصحافة الساخرة، لكن قبل 40 عامًا تنوّعت ما بين الكتابة والكاريكاتور الذي أبدع فيه ناجي العلي آنذاك.

ولفت إلى أن الأوضاع السياسية الأخيرة في فلسطين أفرزت عددًا من كتاب الصحافة الساخرة ذات المخابل لتغيير الواقع وتسخر من السياسيين المتمسكين في الحكم بالضفة وقطاع غزة، مشيرًا إلى أنه رغم وجود عدد من الكتاب الساخرين إلا أن كثيرًا منهم تراجع بسبب الجهات الأمنية التي أوجعتهم بسبب جرأتهم من نقد الواقع، فتأثرت حياتهم الشخصية، فهو تعرّض للاعتقال كثيرًا في غزة، وللمساءلة والتحقيق في الضفة.



أما عن "هرطقاته اليومية"، أشار إلى أن الصحف توقفت عن نشرها كونها لا تتقبل هذا النوع من السخرية، لافتًا إلى أن الكاتب الساخر يدفع ثمن جرأته مرتين، الأولى من السياسيين والثانية من المجتمع، فهذا الفن لم يأخذ حقه رغم أهميته في تغيير الواقع.

وأوضح أبو النصر، الحاصل على جائزة أفضل كاتب ساخر من دولة الجزائر، أنه يكتب بأقل الكلمات وأقوى العبارات، ويحاول اختصار كتاباته كون القارئ لم يعد يفضل قراءة مادة طويلة. ويوضح أن كتاباته الهزلية سخرت من التطبيع العربي والاحتلال الإسرائيلي والانقسام وعادات المجتمع والتقاليد والتطرف، مؤكدًا أن الكاتب الساخر توجع كلمته الساسة وتحدث تغييرًا.

وأشار أبو النصر إلى أن الكاتب الساخر يدفع الثمن بالملاحقة والاعتقال، إلا أن عددًا من الساسة يتواصلون معهم بالخفاء لمعرفة الواقع والحقيقة أكثر.

ولا تزال النصوص الساخرة تلقي الرعب في قلوب الساسة وأولي الأمر كونها تتكلم بضمير الناس، وتحكي هموم المجتمع، وتنقل للأجيال ما عاشه السابقون من معاناة وظلم بطريقة هزلية تعلّمهم فنون الدفاع واسترداد الحريات والحقوق.

رابط المقال : [/https://www.noonpost.com/44602](https://www.noonpost.com/44602)